سلسلة المحاضرات

النسخة الأولى

رمضان شهر القرآن

فضيلة الشيخ

أ.د. يوسف بن عبد العزيز الشبل

أستاذ الدراسات العليا في قسم القرآن وعلومه
بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية



الشيخ لم يراجع التفريغ

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة:

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته، وحياكم الله في هذا المكان المبارك وفي هذا الوقت المبارك مع هذه المحاضرة القيمة واللقاء العلمي، وكما هو معلوم أن خير ما يقضي المسلم وقته أن يكون في مجلس من مجالس الذكر يُذكر فيها الله، وتذكر فيه آياته وأحاديث رسوله صلى الله عليه وسلم.

ولا يخفى على الجميع الحديث الوارد في فضل مثل هذه المجالس المباركة: **«ما اجتمع قومٌ في بيت من بيوت الله يقرؤون كتاب الله ويتدارسونه فيما بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وحفتهم الملائمة وغشيتهم الرحمة، وذكرهم الله فيمن عنده»**.

ولا شك أن هذا فضل عظيم يحرص عليه المسلم، كم من الأوقات التي تضيع تُهدر في أشياء قد تكون وبالًا على كثير من الناس؛ ولكن يحرص الإنسان على أن يشهد مثل هذه المجالس الطيبة، هذه المجالس التي يُذكر فيها الله، ويذكر فيه رسوله صلى الله عليه وسلم.

الموضوع الذي بين أيدينا الحقيقة له أهمية عظيمة خاصةً في هذا الوقت الذي ينتظر فيه المسلم نفحات عظيمة، في وقتٍ فيه موسم عظيم مع تجارةٍ عظيمة رابحة مع الله عز وجل. هذا الموسم العظيم ننتظره بلهف، كثير منا ينتظره بلهف، والكثير كان ينتظره وتخطفه الموت، الإنسان يحمد الله سبحانه وتعالى أن وُفق لمثل هذه الأيام، ويسأل الله عز وجل أن يبلغه هذا الشهر الكريم وهو في صحة وفي عافية.

نعمةٌ عظيمة أن يُوفق المسلم لإدراك هذا الشهر. ولا يخفى عن الجميع أن سلفنا الصالح رحمهم الله كانوا يدعون الله سبحانه وتعالى ستة أشهر أن يبلغهم هذا الشهر الكريم. وإذا بلغهم واغتنموا هذه الأيام الفاضلة وانتهت دعوا الله سبحانه وتعالى ستة أشهر أن يتقبل منهم، كثير منا يغفل عن هذا الشيء. تمر الأيام الماضية ما دعا مرة واحدة أن يبلغه رمضان، في غفلة.

فينبغي للإنسان أن يستيقظ من هذه الغفلة.

الموضوع الذي بين أيدينا موضوعٌ جدير بالأهمية، وهو موضوع القرآن والصيام.

لا شك أن القرآن والصيام قرينان، وعلاقة القرآن بالصيام، وعلاقة الصيام بالقرآن علاقة وثيقة جدًا وأصيلة. وهذه العلاقة تتمثل بعدة أمور؛ إذا تأملنا ونظرنا في الصيام والقرآن لوجدنا أن الشريعة ربطت بين الصيام وبين القرآن.

من هذه الروابط أن نزول القرآن كان في هذا الشهر، هذا يدفع لأهمية القرآن، ويدفع المسلم للعناية بالقرآن الكريم، شهر اختاره الله سبحانه وتعالى أن ينزل فيه كتابه، فلا شك أن هذا الشهر فضيل. والله سبحانه وتعالى لما أراد فضل هذا القرآن على الكتب كلها، فضل هذا القرآن على جميع لكتب المنزلة، ولما أراد سبحانه وتعالى أن ينزل هذا القرآن العظيم اختار له أشرف الملائكة وهو جبريل،

فأنزله على جبريل، ثم اختار له أشرف الرسل على الإطلاق خيرهم وأشرفهم محمد صلى الله عليه وسلم، فأنزل عليه القرآن. واختار أشرف الشهور وهو شهر رمضان؛ بل أشرف لياليه وهي العشر، بل أشرف ليلة من لياليه وهي ليلة القدر. واختار أفضل بقعة وأفضل مكان وهو مكة.

تأمل كيف اختار الله سبحانه وتعالى من الملائكة أشرفهم، واختار من الرسل أشرفهم، واختار من الأزمنة أشرفها، واختار من الأمكنة أشرفها، ثم اختار من الأمم أشرف الأمم أمة محمد.

فإذا تأملت هذا دفعك لأن تعتني بهذا الكتاب، هذا القرآن العظيم. فعلاقة القرآن بالصيام أن القرآن نزل في شهر الصيام، وإذا نظرنا إلى الناحية التاريخية فإن القرآن نزل وكان له نزولان، نزول جملة كاملًا من فاتحته إلى خاتمته، ونزول مفرق.

نزول الجملة نزل في ليلة القدر كما قال سبحانه وتعالى: {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ} [القدر:1]، وقال سبحانه وتعالى في موضع آخر: {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ} [الدخان:3]، وقال أيضًا: {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ} [البقرة:185].

فنزوله جملةً نزل لأن الله سبحانه وتعالى أودع هذا الكتاب في اللوح المحفوظ، كما قال سبحانه وتعالى: {بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ} [البروج:21- 22]. ثم إن الله سبحانه وتعالى أنزله إلى السماء الدنيا كاملًا، أنزله في بيت العزو من فاتحته إلى خاتمته، وهذا النزول ورد في أحاديث وآثار عند كثير من الصحابة أن نزول القرآن في بيت العزة كاملًا، ثم إنه نزل مفرقًا حسب الوقائع والأحداث في ثلاثٍ وعشرين سنة.

نزل على النبي صلى الله عليه وسلم وقد بلغ من العمر 40 سنة، وجاءه الوحي، وهو يتعبد في غار حراء، فجاءه وأنزلت عليه الآيات الخمس من سورة العلق: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1)} [سورة العلق: 1] هذا بداية نزوله، وكان في ليلةٍ شريفة، ليلة القدر، حتى ذكر بعض المفسرين أن هذه الليلة هي ليلة الخامس والعشرين من شهر رمضان. والنبي صلى الله عليه وسلم بلغ الأربعين من عمره، فنزلت عليه هذه الآيات ونزلت في شهر رمضان في لياليه الشريفة والعشر الأواخر، وفي هذه الليلة وهي ليلة القدر، فنزل عليه القرآن، نزلت عليه هذه الآيات، ثم بعد ذلك تتابع الوحي في ثلاثٍ وعشرين سنة.

ثلاث عشرة سنة منها في مكة قبل الهجرة، وهو الكثير من القرآن جاوز الثمانين سورة، كلها نزلت في مكة، ثم إنه لما هاجر مكث في المدينة عشر سنين والقرآن ينزل عليه حتى ختم الله هذا القرآن، وكان آخر آية عهدًا بالوحي وعهدًا بالسماء هي قوله سبحانه وتعالى: {وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ} [البقرة:281] في سورة البقرة، حتى قال سعيد بن جبير رحمة الله عليه: "كان بين نزول هذه الآية ووفاة النبي صلى الله عليه وسلم تسع ليال". ثم خُتم القرآن.

إذًا علاقة القرآن بالصيام علاقة النزول المكان الزمان، علاقة الزمان فاجتمعا، المكان مكة وهي الشريفة والمدينة، ثم علاقة أيضًا الزمان وهو الوقت الشريف وهو نزوله في هذا الشهر المبارك وفي هذه الليلة الشريفة.

أيضًا علاقة الصيام بالقرآن هو مدارسة النبي صلى الله عليه وسلم، فإن النبي صلى الله عليه وسلم كان جبريل يأتيه في رمضان، فيدارسه القرآن، وهذا يسميه أهل العلم بالمعارضة، كيف؟ أن جبريل يأتي إليه ويقرأ عليه القرآن، ثم صلى الله عليه وسلم يستمع ثم يقرأ عليه.

فالمعارضة بين اثنين، فيقرأ هذا ويقرأ هذا، وهذه سنة متبعة، سنها النبي صلى الله عليه وسلم وتبعها صحابته في معارضة القرآن أن يقرأ.

ولذلك النبي صلى الله عليه وسلم إذا أسلم رجل دفعه النبي صلى الله عليه وسلم إلى من يعلمه القرآن، فيقرئه القرآن ويتدارسون القرآن فيما بينهم، وكانوا يتدارسونه بينهم في المسجد وفي بيوتهم وحتى النساء كانوا يحفظون القرآن ويتدارسونه، فكان صلى الله عليه وسلم يعارضه جبريل في هذا الشهر، وكان يعارضه كل سنة مرة واحدة، يعرض عليه القرآن كاملًا، ويعرضه عليه كامل، كل ليلة يأتيه ويقرأ عليه.

وفي السنة التي قُبض فيها صلى الله عليه وسلم عارضه جبريل مرتين، وهو الذي انتهى إليه القرآن، وهي المعارضة الأخيرة التي انتهى إليها القرآن وشهدها بعض الصحابة، وكان ممن شهد المعارضة الأخيرة زيد بن ثابت رضي الله عنه، الذي كُلف بجمع القرآن؛ لأن القرآن لما نزل على النبي صلى الله عليه وسلم نزل مفرقًا سورًا وآيات تنزل الخمس، وتنزل العشر آيات، وتنزل الآية، وتنزل الجزء من الآية أحيانًا، فكان ينزل عليه القرآن، وكان يأمر صحابته بكتابة القرآن وبحفظه، وكانوا يحفظونه في صدورهم ويكتبونه في السطور، وحُفظ القرآن في الصدور وفي السطور.

حتى لما توفي النبي صلى الله عليه وسلم وهو مفرق الآيات والسور لم يُجمع في مصحفٍ واحد لأنه قد يطرأ عليه آيات جديدة تنزل، فلما اكتمل الوحي واكتمل القرآن بعد ذلك جاء في عهد الصديق أبي بكر رضي الله عنه فألهم الله عز وجل عمر وأبا بكر إلى جمع القرآن الكريم في مصحفٍ واحد، وهو الجمع الأول، أن يكون في مصحفٍ واحد من فاتحته إلى خاتمته.

كان ممن قام بهذا العمل هو زيد بن ثابت رضي الله عنه، كان شابًا صغيرًا رضي الله عنه وأرضاه، وقد رُشح لهذه المهمة لما فيه من المزايا التي جعلته يتقدم كثير من الصحابة ممن هو أكبر سنًا منه، فرُشح لهذا العمل فقام بجمع القرآن في مصحف واحد، وهذا هو الجمع الأول.

قد يأتي سائل ويقول: نسمع بجمع عثمان رضي الله عنه ما هو؟ فنقول: لا فرق بينهما؛ الجمع الأول الذي جمعه أبو بكر الصديق وحفظه عنده وانتقل إلى عمر رضي الله عنه، لما داء عثمان رضي الله عنه؛ لأن المصحف في عهد أبي بكر كان محفوظًا عنده، ولم يُنشر، وإنما الناس كانت معهم مصاحفهم وكانوا يتناقلون القرآن فيما بينهم يتدارسونه فيما بينهم وقد وُجد من الصحابة عدد كبير ممن جلسوا

لتدريس الناس كعثمان وأُبي بن كعب وابن مسعود وأبي الدرداء، وغيرهم كانوا ممن جلس لتعليم الناس القرآن الكريم، فجلسوا لتعليمهم وحُفظ المصحف هذا عند أبي بكر.

لما جاء عثمان رضي الله عنه ووقعت الفتنة في زمنه اختلاف الناس في القرآن الكريم جمع الناس على مصحف واحد، فنشر هذا المصحف الذي جُمع في عهد الصديق رضي الله عنه، نشره بين الناس، بدأ ينسخ ويأمر بنسخ المصحف، وكان ممن نسخ المصحف زيد بن ثابت ومعه غيره وبدؤوا ينسخون المصحف الذي حُفظ عند أبي بكر الصديق وبدأ يتداوله الناس حتى انتشر في الأمصار، في مصر وفي الشام وفي العراق وفي اليمن وفي جميع أقطار البلاد الإسلامية. فانتهت المصاحف التي كانت في أيدي الصحابة رضي الله عنه واجتمعوا على مصحف واحد. هذا هو عمل عثمان رضي الله عنه.

ثم استمر الأمر والقرآن محفوظ ولا شك أنه محفوظ، ولم يطرأ عليه لا زيادة ولا نقص، ولا تحريف ولا تبديل ولا تغيير، كما قال سبحانه وتعالى: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} [الحجر:9]، {لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ} [فصلت:42].

فعلاقة القرآن بالشعر علاقة وثيقة من حيث نزول القرآن ومن حيث مدارسة النبي صلى الله عليه وسلم، كان صلى الله عليه وسلم أجود الناس في رمضان، القرآن والنبي ورمضان، كيف كان صلى الله عليه وسلم مع القرآن في رمضان؟

كان أجود الناس وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فرسول الله صلى الله عليه وسلم أجود بالخير من الريح المرسلة؛ لحرصه صلى الله عليه وسلم على قراءة القرآن، وحرص صحابته رضي الله عنهم بامتثال هذا الأمر وحرصوا على قراءة القرآن في هذا الشهر، فكان إذا دخل عليهم شهر رمضان كانوا أشد حرصًا على قراءة القرآن، فيلتفتون إلى قراءة القرآن ولا يلتفتون إلى غيره، ويعكفون على قراءة القرآن.

وورد عن كثير من الصحابة أنهم إذا دخل الشهر كانوا يختمون القرآن كل ثلاثة أيام، وإذا دخلت العشر الأواخر كانوا يختمونه كل ليلة. منهم عثمان، ومنهم تميم الداري، ومنهم عدد كثير من الصحابة كانوا يختمون القرآن، وأيضًا تلاميذ الصحابة من التابعين؛ كسعيد بن جبير، ومجاهد، وإبراهيم النخعي، والأسود بن يزيد، وغيرهم كانوا على هذا المنهج، يقرؤونه كل ثلاث، فإذا دخلت العشر الأواخر قرأوه كل ليلة، كل ليلة يختمونه.

وكان يُسمع لهم دوي من المسجد لقراءة القرآن والعكوف عليه حتى من جاء بعدهم من سلف هذه الأمة كالإمام الشافعي، والإمام أحمد، والإمام مالك وغيرهم، وسفيان الثوري، وقتادة، وغيرهم من السلف كانوا على هذا المنهج، فكان الشافعي عُد له في شهر رمضان أنه يختم القرآن في رمضان ستين ختمة، وكان الإمام مالك يقيم الدروس في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعلم الناس، فإذا دخل شهر رمضان التفت إلى القرآن وترك العلم وترك التدريس وجلس على القرآن، هذا هو منهج

القرآن وعلاقته بالصيام علاقة وثيقة نأخذها من سلف الأمة من فعل النبي صلى الله عليه وسلم وفعل صحابته الذين كانوا يقتدون به وفعل الأمة من جاء بعدهم من سار على هذا المنه إذا دخل رمضان التفت الناس إلى القرآن وأقبلوا على القرآن إقبالًا شديدًا.

السلف رضي الله عنهم كانوا يتخذون من شهر رمضان فرصة لمدارسة القرآن، ولتلاوته ويقبلون عليه.

قد يأتي سائل ويسأل فيقول: التدبر والتفكر في الآيات وفهم الآيات هل يتعارض مع قراءة القرآن؟

نقول الأصل أن القرآن إنما أُنزل للتدبر والتفكر، كما قال سبحانه وتعالى: {كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ} [ص:29]؛ فالحكمة في نزول القرآن هو التدبر والتفكر.

وهناك فرق بين التفسير والتدبر، فالقرآن يُقرأ تلاوةً ويفسر وتبين معانيه، ويتدبر ويعمل به، أربعة أمور، لا بد لصاحب القرآن الملازم للقرآن أهل القرآن لا بد أن يعتنون بأربعة أمور تجاه القرآن: قراءته، وتلاوته، ثم تفسيره وفهمه وفهم معانيه، ثم تدبر آياته، ثم العمل بما يأمر به القرآن وينهى عنه، وما فيه من الحلال يحل حلاله ويحرم حرامه، هذا العمل بالقرآن، يتخلق بأخلاق القرآن.

لما سُئلت عائشة رضي الله عنها عن خلق النبي صلى الله عليه وسلم قالت: "كان خلقه القرآن". يتأمل الآيات التي فيها الأخلاق الحسنة، ويطبقها ويعمل بها ويأخذ بها وينظر في الأخلاق الرذيلة ويتجنبها، يأتي إلى الحلال ويحله ويأتي إلى الحرام ويتجنبه، يأتي إلى المعروف فيعمل به، ويأتي إلى المنكر فيتجنبه، هكذا تكون حياته كلها مع القرآن الكريم، فالقرآن يُتلى ويُقرأ كما هو فعل السلف رضي الله عنهم.

القرآن يُتدبر معانيه لا بد أن تتدبر المعاني، والتدبر لا بد أن نفهمه، التدبر لا يأتي إلا بعد التفسير، كثير من نسمع يقول نتدبر الآيات القرآنية وهو لا يدري ما معناها، فإذا أنت لا تعرف معنى الآيات لا يمكن أن تتدبرها، لأن التدبر نتيجة التفسير، فإذا فُهمت الآيات قرأت القرآن الكريم، قرأت سورة الفاتحة، قرأتها قراءةً حسنة، وأديت قراءتها أداءً حسنًا، هذا الأداء الحسن والقراءة الحسنة تعينك على فهم التفسير، ثم إذا وقفت على بعض الآيات التي لم تفهم معانيها ارجع إلى بيان معانيها حتى تتضح عندك الصورة واضحة، ثم تأتي مسألة التدبر والتفكر فيما تشير إليه الآيات وتدل عليه الآيات.

فالتدبر مرحلة ثالثة، تلاوة القرآن، تفسير القرآن، تدبر القرآن، ثم العمل به. فإذا فهمت هذه الأمور الأربعة كنت قد عرفت هذا القرآن وأعطيته حقه من القراءة والتلاوة والتفسير والتدبر والعمل بالقرآن الكريم، العمل بآياته، تعمل بها في نفسك، تخلق بالقرآن، وتعمل في تعاملك مع الآخرين، وتعمل بها حتى في تعاملك مع شرع الله سبحانه وتعالى في أداء الصلاة، في أداء الزكاة، في الأعمال

التيس فرضها الله عليك، الحج، العمرة، الصيام، كل هذه الأمور التي فرضها الله عز وجل تعمل بها من القرآن الكريم.

لاحظوا: الله سبحانه وتعالى في كتابه دائمًا يقول: {أَقِيمُوا الصَّلَاةَ} [المجادلة:13] ولا يقول صلوا الصلاة، وإنما يقول أقيموا الصلاة. وفرقٌ بين من يصلي وبين من يقيم الصلاة، تجد الصف الواحد فيه ناس يصلون وفيه ناس يقيمون الصلاة، فإقامة الصلاة أن تأتي بالصلاة بأركانها، بواجباتها، بشروطها، بسننها، بخشوعها، هذا يسمى مقيم للصلاة.

وإبراهيم يقول: {رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ} [إبراهيم:40] ولم يقل رب اجعلني أصلي، أو من المصلين؛ بل رب اجعلني مقيم الصلاة.

ولذلك تجد الله سبحانه وتعالى يتوعد بعض المصلين: {فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ} [الماعون:4] ولم يأت وويل للذين يقيمون الصلاة؛ لأن المصلين الذين هم عن صلاتهم وليسوا في صلاتهم، التدبر والتأمل، الله عز وجل قال: {فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ (4) الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ (5)} [سورة الماعون: 4-5]، ولم يقل الذين هم في صلاتهم؛ لأن كل يسهو في صلاته، حتى خير البشرية سها في صلاته صلى الله عليه وسلم. لو قال هذا الأمر لاختلف المعنى اختلافًا كبيرًا، وإنما الذين هم صلاتهم ساهون؛ أي يسهون عن أدائها في وقتها حتى إذا خرج وقتها أو قارب الخروج جاء وصلاها صلاةً سريعة ليس فيها خشوع ولا فيها تدبر ولا فيها إتيان بواجباتها وسننها وأركانها.

نلاحظ أن علاقة القرآن بالصيام كما تقدم معنا نزوله وحرص النبي صلى الله عليه وسلم في رمضان وحرص السلف أيضًا في رمضان. أيضًا من علاقة القرآن بالصيام أن كلاهما يدعو إلى الهدى ويدعو إلى التقوى.

تأمل معي: الله سبحانه وتعالى قال: {ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ} [البقرة:2]، دعا إلى أمرين: بين أنه هداية يهتدون به، وأنه أيضًا يدعو إلى التقوى، ليس هدى لجميع الناس، {قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى} [فصلت:44]؛ فالذين يستفيدون من القرآن هم أهل التقوى وأهل الطاعة.

فلاحظ أن الله سبحانه وتعالى بين في هذا القرآن أنه هدى وأنه للمتقين، فهو هداية ويدعو إلى التقوى.

وإذا نظرت في الصيان وجدت أن هذا الأمر أيضًا موجودًا في الصيام، فيقول سبحانه وتعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [البقرة:183]، فالسر في فرضية الصيام هو تحقيق التقوى. الصيام ليس تعذيبا للناس، الصيام ليس لتعطيش الناس وتجويعهم، الصيام أرقى من هذا الأمر، والله لما فرض هذا فرضه لهدف سامي، هدف عالي، وهو تحقيق

التقوى؛ لأن الصائم أقرب ما يكون إلى التقوى في طاعته في عبادته، في إمساك لسانه، في الإعراض عن الناس، إلى أن تتحقق عنده التقوى وترتفع وتسمو.

الهدف من الصيام هو تحقيق التقوى كما في هذه الآية: {لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [البقرة:183]، ولذلك حتى جاء في أحاديث: «**من لم يدع قول الزور والعمل به والجهر فليس لله حاجة أن يدع طعامه وشرابه**». يترك الإنسان هذه الأمور حتى يحقق التقوى، فالغرض هو التقوى.

حتى جاء عن بعض السلف قال: "لا يكن يوم صومك ويوم فطرك سواء"، وجاء عنهم أيضًا قال: "إذا صمت فليصم لسانك وليصم بصرك وليصم سمعك". فتحقيق الهدف السامي من الصيام هو تقوى الله عز وجل ، والقرب من الله عز وجل، هذا هو الغرض من الصيام.

إذا صمت يصم لسانك عن القيل والقال، والحديث الساقط واللغو، وإذا صمت فليصم سمعك عن الكلام الرديء، وعن سماع المحرمات، وإذا سمت فليصم بصرك عن النظر إلى الحرام، هذا المقصد وهذا الهدف من الصيام. فالصيام هداية والصيام يدعو إلى التقوى والقرآن هداية ويدعو إلى التقوى.

أيضًا من الروابط التي ربطت بين الصيام وبين القرآن هو أن الصيام والقرآن يأتيان يوم القيامة يشفعان لصاحبهما، جاء في أحاديث أن الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: يا رب منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعني فيه، ويقول القرآن: منعته النوم بالليل فشفعني فيه، فيشفعان. ومعنى يشفعان: أن الله يشفع في صاحب القرآن وصاحب الصيام حتى يدخل الجنة، يعني يقبل شفاعة الصوم أو شفاعة الشهر أو الصيام لصاحبه، ويقبل شفاعة القرآن لصاحبه، الذي يلازم القرآن بالليل والنهار ويسهر بالقرآن ويحيي ليله بالقرآن يأتي القرآن يوم القيامة شفيعًا له، وصاحب الصيام الذي يصوم بالنهار يصوم الأيام الكثيرة في النهار فإنه يأتي أيضًا الصيام ويشفع له عند الله سبحانه وتعالى، وهذا فضل عظيم.

من ناحية أخرى أن النبي صلى الله عليه وسلم ربط بين هذين لأمرين، حتى استنبط بعض أهل العلم من الحديث قال: «أسهرته الليالي» يقول القرآن: «منعته الليل» منعته النوم بالليل وأسهرته الليل، قال: استنبط منه أن السهر في الأصل أنه مكروه، قد يكون محرمًا ولكنه إذا كان من هذه الناحية فإن السهر إذا كان من هذه الناحية في طلب العلم والسهر في قراءة القرآن وإحياء الليل في قراءة القرآن، وإحياؤه بالصلاة هذا سهر ممدوح ويُحث عليه.

لا شك أيها الإخوة إذا عرفنا هذه الروابط التي ربطت بين الصيام والقرآن لا شك أنها رابطة وثيقة والسلف الصالح من الصحابة رضي الله عنهم والتابعين أدركوا هذا الأمر، ولذلك نجدهم أنهم كانوا يعتنون بقراءة القرآن في هذا الشهر وإذا جاء هذا الشهر أقبلوا على القرآن، وأشغلوا نهارهم بالقرآن وأحيوا ليلهم بالقرآن، فتجد القرآن دائمًا معهم بالليل والنهار، حتى أنه كما سمعنا منهم من يختم كل ثلاث ليالٍ ومنهم من يختم كل ليلة إذا دخلت العشر الأواخر.

من فضائل هذا القرآن لا شك أن له فضائل كثيرة أن هذا القرآن كما بين الله سبحانه وتعالى ومر معنا أن هذا القرآن هدى، ووصفه الله سبحانه وتعالى بأنه هدى للمتقين، وليس لكل الناس أنه هدى يهتدي به لمؤمنون المتقون الذين يتقون الله فيهتدون بآياته، يهتدون بمعانيه، يهتدون بما يأمر به، يخرجهم من الظلمات إلى النور، حتى إن أثر القرآن على صاحبه أن الله يحفظ صاحبه من كل سوء. من أثر القرآن إذا كان من أهل القرن فإنه يحفظه الله من كل سوء أن هذا القرآن عبرة وعظة يعتبر المسلم به ويتعظ بآياته وينظر في قصصه التي لا يمل منها.

لو قرأت قصة من القصص مرة أو مرتين لملت منها، ولكن القرآن يتكرر عليك قصصه؛ بل القصة الواحدة ترد في أكثر من موضع، كم وردت قصة موسى في القرآن؟ في سورة البقرة وفي سورة الأعراف وفي سور كثيرة في القرآن الكريم تتكرر هذه القصة ولا نمل، لا نمل من سماعها؛ بل تتجدد هذه القصة عندك. فقصصه تختلف، ليست كقصص غيره.

ولذلك الله سبحانه وتعالى بين الغرض من القصة القرآنية، ولذلك قال: {لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} [يوسف:111]. هذه فضائل القرآن، وهذه فضائل قصص القرآن الكريم.

من فضائله التي تدعو إلى الإنسان للعناية بالقرآن والاهتمام به أنه شفاء، كما قال سبحانه وتعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ} [يونس:57]. وقال سبحانه وتعالى: {وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ} [الإسراء:82]. خص المؤمنين، لما جاء في العسل، قال: {فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ} [النحل:69]، ولما جاء في القرآن قال: {لِلْمُؤْمِنِينَ} لأن المؤمنين هم الذين ينتفعون بالقرآن، وهو الذي ينفعهم، ويؤثر فيهم، ويتأثرون بالقرآن، فهو شفاء لما في الصدور من الشبه والشكوك والريب والأمراض الحسية والأمراض المعنوية وهو شفاء لها.

لاحظ أيضًا أن القرآن من فضائله أنه حوى كل علم من العلوم في الدنيا، ما من علم من علوم الدنيا وعلوم الآخرة إلا تجده في القرآن، كما قال سبحانه وتعالى: {تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ} [النحل:89]، فالقرآن بيّن سبحانه وتعالى في موضع آخر: {مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ} [الأنعام:38]؛ فالقرآن كله احتوى على علوم كثيرة، سواء جاءت بالتصريح أو التلميح أو الإشارات، فكله.

ولذلك نشاهد حتى الآن أن من أعداء الإسلام من أخذوا من القرآن واستفادوا من علومه، سواء كانوا من اليهود أو النصارى أو المستشرقين أو غيرهم، استفادوا من هذا القرآن وأخذوا من علومه واستفادوا من علومه، فالقرآن كما قال سبحانه وتعالى: {مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ} [الأنعام:38]، وهو شامل لعلوم الدنيا وعلوم الآخرة، شامل، ولم ينقص شيء من العلوم إلا وقد أودعه الله في كتابه. فقد يدركه من يدركه من الناس وقد لا يدركه.

أيضًا من فضائل هذا القرآن الذي يدفعنا ويشد من العزيمة لأن تقرأ القرآن في رمضان وفي غيره وتعطيه أيضًا أهمية كبيرة في رمضان بتلاوته والإقبال عليه أن هذا القرآن تميز بسهولته، سهولة حفظه، سهولة تلاوته، سهولة معانيه، فمعانيه سهلة إذا قرأت تعرف المعاني.

اقرأ مثلًا سورة لقمان، لما افتتح الله سبحانه وتعالى سورة لقمان قال عز وجل: {الم (1) تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ (2)} [سورة لقمان: 1-2]، ووصف كتابه بأنه حكيم، ما يخفى علينا معنى الحكيم، ثم قال: {هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ (3)} [سورة لقمان: 3]، القرآن هدى، تأمل الآيات، هدى ورحمة لمن؟ للمحسنين. في سورة البقرة قال: للمتقين، في موضع آخر قال للمؤمنين، فكيف يكون للمؤمنين والمتقين والمحسنين؟ نقول هذه تدفعنا إلى أن نتصف بهذه الصفات؛ فنكون من المؤمنين ونكون من المتقين، ونكون في جانب الإيمان والتصديق تكون في مقدمة المؤمنين، في جانب التقوى والخوف من الله والبعد عن المحارم تكون في مقدمة المتقين، في الإحسان في عباداتك مع ربك والإحسان مع الخلق في تعاملك تكون من المحسنين فهو القرآن هدى ورحمة للمحسنين.

ثم بيّن من هم المحسنون قال: {الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ} [سورة لقمان: 4]. ثم بيّن أثر هؤلاء الموصوفين، أثر هذا القرآن عليهم، فالقرآن واضح بيّن لا يكون فيه غموض ولا صعوبة، هذا مطلع سورة من سور القرآن تلوناها اتضحت معانيها، {هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ (3) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (4) أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}[سورة لقمان: 3-5]؛ الآيات واضحة.

فالقرآن سهلٌ في قراءته، تجد من هو من الأعاجم لو يتحدث معك ما استطاع أن ينطلق لسانه معك، وتجده مع القرآن ينطلق، وهذا من إعجاز القرآن أنك تجد من ليسوا من أهل العربية وينطلق بالقرآن قراءةً متقنة، وقراءة مجودة وقراءة حسنة. هذا من تيسير القرآن، {وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ} [القمر:17]؛ فتيسيره في تلاوته حتى ممن هو من كبار السن ومن النساء الكبار ومن الرجال الكبار تجده لم يتعلم القراءة والكتابة، حتى أني وجدت كبار سن يأتيك بورقة يقول لك: اقرأ علي ما أعرف قراءة هذه، والقرآن بين يديه يقرأه، فهذا من تيسير القرآن، تسهيله أن يقرأه العامي وغير العامي، والمتعلم والعالم وغيرهم كلهم قد يسر الله عز وجل لهم تلاوة هذا القرآن.

فتيسيره من حيث التلاوة، تيسيره من حيث الفهم، فيفهمون معانيه، نقرأ القرآن ونفهم معانيه، وإذا لم تفهم فقد يسر الله لك أن ترجع إلى كتب تفتح لك هذه الألفاظ وتبين لك معانيها وتبين لك هذه المعاني.

فتيسير القرآن، تيسير تلاوته على الألسنة، تيسير القرآن أنه يسّر معانيه وضحها وبينها، تيسير القرآن أن يسر الله حفظه، من يقرأ القرآن فيردد الآيات فيسهل الله له إذا عزمت النية عنده وصدقت سهل الله عليه قراءة القرآن وحفظ القرآن فأتقنه. فهذا من تسير الله وهذا من فضائل القرآن الكريم.

قد يسأل سائل فيقول: هل الأفضل قراءة القرآن والإكثار منه أو بيان معانيه والوقوف عند معانيه والتدبر وتفسيره؟

فنقول: لا شك ولا يخفى علينا جميعًا أن الجمع بين هذا وهذا هو الأولى، أن يكون لك نصيب من قراءة القرآن، ويكون لك نصيب أيضًا من فهمه، الله أمرنا أن نتعلم، قال سبحانه وتعالى: {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} [النحل:44]. لعلهم يتفكرون لا بد للإنسان أن يقرأ وأن يتفكر ويتعلم.

وكما ذكرنا قبل قليل أن قراءة القرآن في الأيام الفاضلة كشهر رمضان والعشر الأواخر منه لا شك أنها مقدمة والإنسان يحرص؛ لأن هذه فرصة عظيمة للإنسان يحرص عليها ولا تفوته، وأن يجمع بين هذا وهذا.

فابن عمر رضي الله عنه جلس في سورة البقرة ثمان سنوات يتأملها ويتدبرها، ويقرأ في معانيها، ويفسرها، ثمان سنوات. فالإنسان يجمع بين هذان، أما الإنسان يقرأ القرآن ولا يفهم معانيه فهذا من القصور ومن الخطأ أن تمر عليك آية ثم تتجاوزها، فالسلف كانوا يقفون ويتأملون ويؤثر فيهم هذا القرآن. حتى ورد عنهم أن منهم من وقف ليلةً كاملة مع آية يرددها.

فهذا من التأمل والتدبر والفهم، أما أن تمر آيات لو أنزلت على جبل لرأيته خاشعًا متصدعًا وتمر على كثير منا ولا يقف عندها ولا يدرك معانيها ولا يفهمها هذا من الخطأ، ينبغي للإنسان أن يقرأ القرآن بفهم، فإذا مر على آية لم يدرك معناها فإنه يسأل ويرجع ويفهم حتى يعرف معناها ويجمع بين هذا وهذا. فلا شك أن القرآن نزل لنتعلمه ونفهمه ونطبقه في حياتنا. فالقرآن يُتدبر، القرآن يُقرأ ويُعمل به.

نحن في أيام شريفة أو قاربنا أن نكون في هذه الأيام الشريفة وأن ندرك هذه الأيام الشريفة. النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أقبل شهر رمضان كان يبشر صحابته رضي الله عنه بقدوم هذا الشهر، ويهنئهم بقدوم هذا الشهر، فيقول: «**أتاكم شهر رمضان شهرٌ مبارك**» وقف عند كلمة مبارك، كان هذا الشهر شهر مبارك معناه أن فيه خير كثير، فيه بركة عظيمة، فلا بد أن ندرك هذه البركة العظيمة، بركة في وقته، وبركة في أجوره، وبركة في صيامه، وبركة في الأعمال الحسنة المتعددة في هذا الشهر.

النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**أتاكم شهر رمضان شهر مبارك**» ثم قال: «**فيه تُفتح أبواب السماء، وفيه تُغلق أبواب النيران، وفيه تُصفد مردة الشياطين، وفيه ليلة هي خيرٌ من ألف شهر من حُرم خيرها فقد حُرم**».

هذه بشارة النبي صلى الله عليه وسلم لصاحبته، أن يبشرهم بقدوم هذا الشهر بأن يذكر لهم هذه الفضائل، لماذا ذكر لهم: «**شهر مبارك فيه تُفتح أبواب السماء، وفيه تُغلق أبواب النيران**» ما الهدف من ذلك؟ حتى يحثهم على المسارعة وعلى إدراك هذا الشهر وعلى إدراك ما فيه من الخيرات وأن

يتنافسوا في هذا الشهر، وأن يسارعوا إلى الأعمال الصالحة وهي فرصة ثمينة، ويتعرضوا لنفحات الله سبحانه وتعالى في هذا الشهر المبارك وأن يدركوا هذا الشهر حتى لا يفوتهم هذا الخير العظيم، فهو يحفز صلى الله عليه وسلم صحابته على هذه الأشياء حتى يدركوها.

«أتاكم شهر رمضان شهر مبارك، فيه تُفتح أبواب السماء، وفيه تُغلق أبواب النيران، وفيه تُصفد مردة الشياطين» وإذا فُتحت أبواب السماء صعدت الأعمال الصالحة، إذا غُلقت أبواب النيران يقصر الشر، ويقصر أهله، إذا صُفدت الشياطين فلا يخلصون إلى ما كانوا يخلصون إليه، **«فيه ليلة هي خيرٌ من ألف شهر من حُرم»** قال من حرم تحذير أن يفوتك، كثير من الناس يُحرم هو يحرم نفسه هذا الخير، قال: **«من حرم خيرها فقد حُرم»**.

في رواية قال: **«من حرم خيرها فقد حرم الخير كله»**.

فالإنسان ينبغي له أن يحرص وأن يبشر بقدوم هذا الشهر، وأن يحث على هذا الشهر وعلى استغلال هذا الشهر.

من الأشياء التي ينبغي للمسلم أن يستقبل بها هذا الشهر ونحن في هذه الأيام التي نستقبل فيها هذا الشهر العظيم ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يبلغنا هذا الشهر وأن يجعلنا ممن يصوم هذا الشهر ويقومه، هذه الفرصة العظيمة التي كان بعض الناس يتمنى الحصول عليها فأدركه الموت، وكان يتمنى فمنعه العجز ، كان يتمنى فمنعه المرض، فيحمد الله الإنسان أنه وصل إلى هذه الأيام، ويسأل الله عز وجل أن يبلغها.

فمما يُستقبل فيه هذا الشهر العظيم هو الدعاء، أن تدعو ولا تغفل أخي المسلم عن الدعاء، لأن الدعاء هو طريق العبد وعلاقة العبد بربه، فلا تغفل أن تدعو الله سبحانه وتعالى، وأن تدعو في هذه الأيام أن يبلغك هذا الشهر، والدعاء عبادة كما قال صلى الله عليه وسلم: **«الدعاء هو العبادة»**، الدعاء عبادة وتدعو الله سبحانه وتعالى أن يبلغك هذا الشهر المبارك.

فإن السلف كانوا يدعون الله ستة أشهر حتى يبلغهم هذا الشهر، فإذا بلغت هذا الشهر إن شاء الله بإذن الله فإنه يُشرع لك أنك إذا رأيت هلال هذا الشهر أن تقول ما قاله صلى الله عليه وسلم، وهو أنه كان إذا رأى الهلال قال: **«اللهم أهله علينا باليُمن والإيمان والسلامة والإسلام، رب وربك الله»** وهذا الحديث حديثٌ صحيح رواه الإمام أحمد وغيره بأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول هذا الدعاء عندما يرى الهلال.

ولا يلزم أن تراه، لا تراه، لكنك إذا علمت برؤيته، إذا جاءك خبر رؤيته فيستحب أن يدعو بهذا الدعاء: **«اللهم أهله علينا باليُمن والإيمان والسلامة والإسلام»**.

أيضًا منا يشرع للمسلم باستقبال هذا الشهر أو في قدوم هذا الشهر أن يحمد الله عز وجل، أن يحمده ويشكره على بلوغ هذا الشهر، فمما يشرع للمسلم عند تجدد النعم وهذه نعمة عظيمة، هذه من أكبر النعم أن تدرك هذا الشهر من أعظم النعم، فهذه تعتبر من تجدد النعم عندك أن تشكر الله وأن تحمده على هذه النعمة أن أدركت هذا الشهر ولم يمنعك منه الموت أو المرض أو العجز أو نحو ذلك.

فيحمد الإنسان ربه إذا وصل إلى هذا الشهر وبلغ هذا الشهر فليحمد الله.

أيضًا من الأمور التي نستقبلها هذه الأيام والأيام القادمة أن يفرح ويبتهج بقدوم هذا الشهر، كما قال صلى الله عليه وسلم: «**جاءكم شهر مبارك**» فيبشر ويبتهج ويفرح ويبشر أصحابه ويبشر أهله بقدوم هذا الشهر، كما كان صلى الله عليه وسلم يحرص على إبلاغ وتبشير ويحرص على استقبال هذا الشهر ويفرح ويبتهج بقدوم هذا الشهر، وهو ضيفٌ عزيز انتظره، منذ سنة وأنت تنتظر قدومه، فالواجب عليك عند قدومه أن تفرح.

لو كان ضيفًا أو صديقًا أو قريبًا لك قد انقطع عنك سنة كاملة ثم رأيته لفرحت بقدومه، وسعدت وابتهجت بقدومه، فكيف برمضان يقدم عليك وهو ضيفٌ عليك، فإذا حل بك هذا الشهر فينبغي لك أن ترحب به وينبغي لك أن تفرح به.

أيضًا من الأمور التي ينبغي للمسلم أن يستقبلها في هذا الشهر هو العلم والفقه والتعلم، تعلم أحكام الصيام، كثير من الناس يجهل أحكام الصيام، يدخل هذا الشهر وهو لا يعرف أحكام هذا الشهر، الأمور العملية كالصيام، وكالحج، وكالعمرة لا ينبغي للمسلم أن يشرع فيها وهو لا يعرف أحكامها، فينبغي له أن يتعلم.

كثير من الناس يقع في مخالفات وأمور محرمة في شهر رمضان وهو لا يدري حكمها، يجهلها؛ لأنك لم تتعلم فينبغي له أن يتعلم أن يقرأ الكتب الميسرة في أحكام الصيام، يستمع لبعض المحاضرات وبعض الدروس العمية، يحرص على حضور المحاضرات والدروس العلمية المتعلقة في أحكام الصيام وما يتعلق بمسائل كثيرة قد تفوته، قد يقع في أشياء في رمضان ولا يدري عن حكمها، ثم يسأل، إذا وقع سأل، كالعمل في الحج والعمرة، إذا وقع في المخالفات ووقع في الأخطاء والمحظورات جاء يسأل.

فالصيام فريضة وركن من أركان الإسلام ينبغي للإنسان أن يتعلم وألا يجهل هذه الفريضة وأن يتعلم ما فيها من الأحكام، حتى فيما يتعلق بالإمساك والإفطار وما يتجنبه الصائم وما ينبغي للصائم أن يفعله في هذا الشهر أمور ظاهرة ينبغي له أن يتعلمها ويتفقه في الدين.

أيضًا مما ينبغي للمسلم في هذا الشهر المبارك عند استقباله، عليه أن يستقبله بالعزم، بالعزم على أي شيء؟ بالعزم على ترك الذنوب والمعاصي والسيئات والعزم على التوبة الصدوقة، العزم بأن يتوب إلى الله، تجد من الناس من يدخل عليه الشهر وكأنه أي شهر من الشهور، لا؛ ينبغي لك أن تكون عندك عزيمة أن تكون في هذا الشهر غير ما كنت عليه سابقًا، فتعزم على البعد عن ترك المحرمات ومن السيئات

وأن تقلع من جميع الذنوب، فهو فرصة للتوبة، من يتعاطى المحرمات فرصة له، من يستمع إلى المحرمات أو ينظر إلى المحرمات فرصة له في هذا الشهر أن يربي نفسه على البعد عن المعاصي.

كن تقيًا، كن من المتقين، أقبل على الله عز وجل وتب إليه حتى تكون من الأتقياء؛ فإن الصوم من أسباب شرعيته أن يكون المسلم تقيًا، {كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [البقرة:183]. أي لتكونوا من المتقين، فهو سببٌ أو طريق للتوبة إلى الله والإقبال على الله سبحانه وتعالى.

أيضًا ينبغي للمسلم في استقبال هذا الشهر أن يعد الإعداد الجيد لهذا الشهر، يعد له طريقة ومنهج يسلكه في هذا الشهر، ينبغي له أن يرتب أموره، يرتب أوقاته في هذا الشهر، من الناس ما يحسن ترتيب الأوقات، فيضيع عليه الوقت، ولا يدري إلا قد ذهب الشهر وخرج وهو لم يرتب نفسه.

فالذي لا يستطيع أن يرتب نفسه سيضيع عليه الوقت، فينبغي له أن يحرص كل الحرص على ترتيبه، فإن ترتيب الوقت هو السبب الرئيس في إدراك كثير من الطاعات، وإدراك كثير من الأوقات، تجد كثير من الناس تضيع أوقاته لعدم ترتيب الوقت، وعدم فهم مسألة الترتيب، الترتيب أمر مهم جدًا في حياتك، قبل الفجر يقوم للصلاة يكون له نصيب في آخر الليل، يصلي ما شاء الله ثم يدرك وجبة السحور، السحور فيه بركة، فيه دعاء وفيه بركة، ثم يبكر بصلاة الفجر ويكون من المتقدمين في المسجد، ثم إذا صلى صلاة الفجر يمكث في مصلاه يرتب أوقاته إلى أن تطلع الشمس، ثم يكون له أوقات قراءة القرآن من الضحى وصلاة الضحى والظهر والعصر ... وهكذا يرتب أوقاته حتى لا تضيع.

تجد من الناس سبهلل ما يدري الفجر ضائع عليه، والظهر ضائع عليه، العصر ضائع، والعشاء ضائع، التراويح ضائع، لا يدرك ولا يرتب أوقاته، فترتيب الوقت أمر مهم، فهو سبب لاستغلال هذه الأيام واستغلال الطاعات فيها.

أيضًا من الأسباب التي ينبغي للمسلم أن يحرص عليها في هذه الأيام أن يهتم بصلاة الفريضة والواجبات، وما يتعلق بذلك مما يتعلق بأحكام الصيام وترتيب الوقت في هذا الشهر.

فنسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا وإياكم ممن يوفق بإدراك هذا الشهر، ويجعلنا وإياكم ممن يدرك هذا الشهر ويستغله في طاعة الله، ويجعلنا وإياكم ممن يوفق لأن يكون من الأتقياء وأن يكون من المتقين المحسنين.

والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فيه بعض الأسئلة مهمة الحقيقة وهي تتعلق بما ذكرناه في هذه المحاضرة المباركة:

س: السائل يقول: ماذا يكون الهدف من قراءة القرآن؟

ج: وهذا مر معنا بيانه، الهدف من قراءة القرآن هو فهم القرآن والعمل به، فتقرأ القرآن لتفهمه، تقرأ القرآن لتعمل به، ليس مجرد قراءة فقط، وإنما تقرأه وتفهم ماذا تقرأ، وإذا فهمت ماذا تقرأ عملت به، فهذا هو الغرض من قراءة القرآن.

س: أنا مبتلى بالأجهزة الحديثة أنشغل بها في الأيام العادية أكثر من القرآن، وقد يكون الانشغال أيضًا في رمضان، فماذا تنصحونني؟

ج: الحقيقة الأجهزة قد ابتُلي بها كثير من الناس، ولا يحسن التعامل معها، أجهزة الجوال وغيرها تجد الناس من تأخذ الوقت الكثير عليها، فإذا جاء رمضان انشغلوا بها، من الناس من يأتي المسجد لقراءة القرآن، فإذا صلى وأخذ المصحف أدخل يده في جيبه وأخرج هذا الجهاز ثم جلس معه وقت طويل، ثم ضاع وقته، ولم يقرأ من القرآن شيء، وهذا من الانشغال.

حاول ألا يشغلك هذا وأن تجعل له وقت محدد إذا رتبت نفسك وما ذكرنا ترتيب الوقت، إذا رتبت نفسك استطعت أن تسيطر على هذه الأجهزة، أما هذه الأجهزة تسيطر عليك فهذا من الخطأ، تأخذ وقتك الكثير يضيع وقته مع هذه الأجهزة التي أشغلت كثير من الناس، وقد تكون هذه الأجهزة مجتمعة على بعض المحرمات، كالنظر المحرم، والصور المحرمة تجد فيها من الموسيقى المحرمة، تجد فيها من الغيبة والنميمة في بعض الرسائل مشتملة على سب وشتم وغيبة، ويشغل نفسه في هذا الشهر المبارك ويضيع وقته.

هذه الأجهزة وما يسمى بهذه المجموعات التي يرسل بعضها إلى بعض، فيفتح الوات ساب ويشغل نفسه ويضيع وقته، بعض الناس تجد العصر أحيانًا يصل إلى ثلاث ساعات كلها يمضيها في هذه الأجهزة، وكل الأوقات، وبعد التراويح إلى قبيل الفجر وهو على هذه الأجهزة، سواء أجهزة الجوال أو الحواسيب أو على القنوات الفضائية، هذا من ضياع، أن يضيع وقته فيما لا ينفعه، فينبغي للمسلم أن يكون عاقلًا وأن يدرك هذا الشيء وألا يضيع وقته، ويحرص على ترتيب الوقت وألا تكون هذه الأجهزة وبالًا عليه.

في هذا الشهر المبارك نجد كثير فيهم خير وفيهم صلاح ويبكرون بالمسجد ويحرصون على قراءة القرآن، ثم تجدهم يبتلون بهذه الأجهزة فتضيع أوقاتهم، شاهدناهم في رمضان وفي العشر الأواخر ومنهم أناس معتكفون في المساجد، يعتكف في المسجد ويشغل نفسه بهذه الأجهزة، وشاهدنا أناس في الحج في يوم عرفة وفي ليال وأيام فضيلة في الحج تجده يشتغل نفسه بهذه الأجهزة. هذا كله من سوء التصرف مع هذه الأجهزة وفي نفس الوقت لا يحسن ترتيب الوقت، فينبغي للإنسان أن يأخذ شيئًا قليلًا من هذه مما يستفيد منه وينتفع به ولا يكون كل وقته مع هذه الأشياء.

س: هل هناك مزية خاصة للعمرة في رمضان؟

ج: لا شك أنه ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**عمرة في رمضان تعدل حجة**» وفي رواية: «**تعدل حجةً معي**».

فالإنسان يحرص على أداء العمرة في الأوقات التي لا يكون فيها ازدحام وألا يطيل المكث، وإنما يفتح المجال لغيره ويستحب له أن يحرص على أداء العمرة في رمضان، فإنها تعدل حجة كما قال صلى الله عليه وسلم.

س: توجيهكم لمن يجعل العشر الأواخر من رمضان في الأسواق؟

ج: هذا لا شك أنه ضياع، ضياع للعمر أن تجعل أوقات رمضان تذهب عليك، والليالي العشر الفضيلة التي يعتكفها الناس ويشرع فيها الاعتكاف والإقبال على الله والذكر وقراءة القرآن وصلاة التراويح أن يشغل نفسه بذهابه إلى الأسواق.

وهذا كما ذكرنا من سوء التصرف وعدم الإحسان في ترتيب الوقت، إذا أنت لا تحسن ترتيب الوقت سيذهب عليك وقتك، تجد من الناس الليالي العشر كلها في الأسواق، بعد التراويح إلى أن يؤذن الفجر وهو في السوق، يشتري ما يحتاجه أيام العيد، هذا من عدم إحسان ترتيب الأوقات، ولو كان يحسن ترتيب الأوقات لرتب أموره قبل العشر وانتهى من هذا الأمر.

س: نويت صيام رمضان بمشيئة الله، فهل يكفي للشهر كاملًا؟

ج: ما تنويه الآن، تقول نويت شهر رمضان وأنت في هذا الوقت، تنويه إذا دخل الشهر، إذا أُعلن أو تم ثلاثين ودخل الشهر أو أعلن رؤية شهر رمضان من هنا تبدأ النية، ولا تقول نويت بلسانك، وإنما أنت عندك عزيمة ونية صادقة أنك تصوم هذا الشهر، فهذا يكفي بنيتك، لو سألك شخص تصوم رمضان؟ تقول: بلا شك سأصومه بإذن الله ومشيئته أني سأصوم الشهر كاملًا، فهذه هي النية كافية ولا ينوي كل ليلة يجددها، بل النية للشهر كاملة كافية، إلا إذا قطعها، إذا قطع النية فإنه يجددها.

س: يقول بعض الناس لا يعرف القرآن إلا في رمضان وإذا قرأ القرآن فإنه لا يحسن القراءة، وبعضهم يطالع في المصحف ولا ينطق.

ج: في السؤال هنا عدة أشياء مهمة في القرآن:

أولًا: يقول لا يعرف القرآن إلا في رمضان، وهذا قصور وهجران للقرآن، ينبغي للمسلم حتى ذكر بعض السلف أنهم كانوا يختمون القرآن كل سبعة أيام طوال السنة، ومنهم من يختمه كل عشرة أيام، ومنهم من يختمه كل شهر، حتى ذكر ابن قدامة المقدسي رحمه الله أنه لا ينبغي أن يترك القرآن أكثر من أربعين يومًا، يكره أن يتجاوز المسلم ختم القرآن كل أربعين يومًا، إذا مضى أربعون يومًا ولم تختم القرآن فإن هذا تقصير منك في حق القرآن، وقال أنه من هجران القرآن أن يمضي الشهرين والثلاث والأربع وأنت لم تختم القرآن.

فهذه مسألة أن بعض الناس لا يعرف القرآن إلا يوم الجمعة قبل الصلاة وفي رمضان. وغيرها لا يقرأ القرآن. وهذا من الهجر القرآن، لا يجوز هجرانه.

أيضًا يقول: فإنه لا يحسن القراءة، إذا قرأ لا يحسن القراءة، نسمع كثير هذا يظهر في رمضان ممن تسمه تلاوته تسمع من الناس من لا يحسن قراءة القرآن أبدًا، ولا يحسن نطقها وهذا أيضًا قد يأثم على قراءته؛ لأنه إذا قرأ ولحن لحنًا جليًا وأخطأ في قراءته وهو يعرف وهو يجب عليه أن يتعلم القرآن، فإذا لم يتعلم وترك التعليم فإنه يأثم على أن يقرأ القرآن.

سمعنا من يقرؤون القرآن ويخطئون في نطقهم حتى يغيرون المعنى، أنا سمعت أحدهم في سورة الفاتحة بدلًا من أن يقول اهدنا الصراط، يقلب النون ميمًا، يقول اهدم الصراط، سمعته، سمعت أيضًا من يقرأ يقول: {قُلْ مَنْ يَكْلَؤُكُمْ بِاللَّيْلِ} [الأنبياء:42] يحفظكم بالليل، سمعته يقول قل من يأكلكم بالليل. هذا ما يجوز، هذا غير المعنى.

ينبغي أن يتعلم القرآن إذا أنت ما تعرف قراءة القرآن تعلمه، في حلقات لتعليم في طرق تعليم كثيرة وسائل التعليم كثيرة، أما أن تترك قراءة القرآن فهذا من الخطأ، أو لا يحسن القراءة كثير منهم. النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**حسنوا قراءتكم**» وطلب من التحسين ومما يتطلب من التحسين أن تحسن قراءة القرآن وتضبط القراءة، أما أن تقرأ بقراءة خاطئة نسمع كثير والله يكون بجانبك ممن يلحن وهذا تقصير منه، ينبغي أن يقرأ القرآن ويتقن قراءته.

يقول هنا بعض الناس يطالع المصحف ويقرأ بقلبه، هذا لا يعد قارئًا، من يقرأ قلبه لا تعتبر قراءة، لو جاء إنسان وكبر تكبيرة الإحرام بقلبه وقرأ الفاتحة وهو يصلي بقلبه لا تعتبر صلاة، لا بد من أن يقرأ وأن يحرك لسانه وشفتيه وأن يسمع نفسه بالقرآن، أخذت المصحف قرأت لا بد أن تقرأ بحروف، أما قراءة القلب ليست بحروف، الحروف ليست في القلب، الحروف باللسان والفم والشفتين والحلق، هذه الحروف. أما حروف القلب أن يقرأ بعض الناس تجده جالس جنبك بس ينظر في المصحف، ثم يفتح الصفحة وينظر تقول تقرأ بقلبك ما تصح، القراءة الصحيحة قراءة باللسان والشفتين هذه القراءة الصحيحة، فينبغي للإنسان أن ينتبه لمثل هذا الأمر.

س: يقول نلاحظ في بداية رمضان يشغلون أنفسهم بالطاعة والإقبال على القرآن فإذا جاءت العشر اشتغلوا بأمور بعيدة عن الطاعة.

ج: هذا من التقصير وهذا مر معنا أن هذا من الخطأ وهذا يرجع إلى عدم ترتيب الأوقات.

س: يقول أفضل أن أقرأ القرآن أو أراجع الحفظ في رمضان؟

ج: أنا أعود إلى مسألة ترتيب الوقت، إذا رتبت وقتك استطعت أن تجمع بين الأمرين، تجعل مثلًا بعد الظهر لمراجعة الحفظ، تجعل بعد العصر وبعد العشاء وآخر الليل لتلاوة القرآن، وهكذا بعد الفجر لتلاوة القرآن، تجعل أكثر أوقاتك في رمضان للتلاوة، وكثرة القراءة، وتجعل وقتًا لمراجعة الحفظ؛

لأنك أنت إذا تركت حفظك سيذهب، فينبغي للإنسان أن يراجع حفظه ويقرأ فيجمع بين الأمرين وإذا جمع لا يضيع عليه شيء. وهذا كله يا إخوان حقيقة والله يرجع إلى ترتيب الوقت، فإذا رتب وقته أحسن إدراك مثل هذه الأمور ولم يفوته شيء.

س: هل القرآن يدخل مع الميت في القبر؟

ج: سورة تبارك شفعت وأنجته من عذاب القبر، العمل الصالح يأتي صاحبه في قبره يقول له أنا عملك الصالح، ومن الأعمال الصالحة قراءة القرآن، لكن لا نقول القرآن بذاته يدخل وإنما عمله وحسناته.

س: ما هو الأفضل بين الأذان والإقامة: هل أقرأ القرآن ولا أدعو؟

ج: بلا شك دائمًا الأمور إذا أنت استطعت أن تجمع بينها فهو أفضل، لا مانع أن تدعو وتقرأ، تجعل وقت للقراءة ووقت للدعاء، تدعو وتقرأ كلاهما؛ لأن وقت بين الأذان والإقامة وقت واسع يستطيع الإنسان أن يدعو الله عز وجل وأن يقرأ القرآن وأن يجمع بينهم. لكن قد يكون هناك أمور لا تستطيع الجمع بينها، لو جاءك شخص وقال لك: إذا أذن المؤذن فهل الأفضل أن أتابع المؤذن ولا أستمر في قراءة القرآن؟ هنا تابع المؤذن ولا تستمر قف، لأن الأذان يفوت وقته، ومتابعته تفوت، فأنت قف وتابع المؤذن، فإذا انتهى الأذان فتعود إلى قراءتك. فهناك أمور لا يمكن الجمع بينها.

س: هل القراءة من المصحف أفضل أم من الجوال؟

ج: نجد كثير من الناس يقرؤون من الجوال ويتركون المصاحف، بلا شك أن القراءة من المصحف أفضل، لأن النظر في المصحف عبادة، ولأن القرآن الحقيقي هو المصحف، وأما هذا صورة، ولذلك لو جاء شخص ولمس شاشة المصحف من الجوال وهو على غير طهارة لا يأثم، لكن لو مس المصحف مباشرة لأثم.

فلا شك أن القراءة من المصحف مباشرةً أفضل من القراءة من الجوال؛ لأن الجوال ليس بمصحف حقيقي، وإنما هو صورة، لا يأخذ أحكام المصحف، لو دخلت بالجوال في أماكن لا يجوز دخول المصحف فيها جاز لك دخول الجوال، لكن لا يجوز دخول المصحف، الجُنب يمس الجوال لكن لا يمس المصحف، غير الطاهر المحدث حدث أصغر يجوز له أن يمس الجوال لكن لا يجوز له أن يمس المصحف وهو على غير طهارة، فأحكام المصحف تختلف عن أحكام الجوال.

لكن وهذا انتبه إليه، قد يكون هناك أماكن لا تستطيع الحصول فيها على القراءة من المصحف، فلك أن تقرأ من الجوال، يكون في مسجد والمصاحف بعيدة خاصة يوم الجمعة فلك أن تفتح الجوال وتقرأ منه، جائز. القراءة من الجوال جائزة، لكن القراءة من المصحف أفضل. قد تكون في السيارة، قد تكون في مكان بعيد، ما عندك مصاحف، لك أن تقرأ من الجوال، والقراءة من الجوال جائزة وصحيحة

ولا فيها شيء، لكن الأفضل إذا كانت المصاحف أمامك تجد بعض الناس المصحف أمامه ويأخذ الجوال، فنقول المصحف أفضل، وإذا تركت المصحف وقرأت من الجوال فلا بأس لكن تركت الأفضل.

س: يقول رأيت شخصًا في رمضان لا يعقد الصوم إلا في وقت متأخر بعد صلاة الفجر؟

ج: هذا لم يرد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يفعل هذا، وإنما ينوي الصيام في أول الشهر وتستمر هذه النية معه، أما أن يقول أعقد الصيام، فهذا لم يشرع، أو يجدد النية كل ليلة هذا لم يشرع.

س: ما القدر في قراءة القرآن حتى لا يكون هاجرًا للقرآن؟

ج: ذكرناه أنه ينبغي له أن يحرص على قراءة القرآن وألا يفوته قراءة القرآن، حتى ذكر أهل العلم أن قراءة القرآن لها حد ألا يتجاوز أربعين يوم إلى شهرين وهو لم يختم القرآن.

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لطاعته وأن يجعلنا وإياكم من أهل القرآن الذين هم أهل الله وخاصته.

والله أعلم وصل الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.